



72 فائدة من كتاب :

الوابل الصيّب من الكلم الطيّب

لابن القيم - رحمه الله -

انتقاء :

عبد الله بن محمود الكناص



المقدمة

بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فهذه فوائد انتقيناها من كتاب "الوابل الصيّب من الكلم الطيّب" للإمام العالم الرباني ابن قيّم الجوزية رحمه الله.

نقدّمها لمن أراد أن يبصر قدر أهمية ذكر الله تعالى، وفوائده الجمّة.

واعتمدنا في هذا الكتاب طبعة دار ابن حزم.

ولربما أضفنا بعض الحروف، أو أبدلنا بعض الكلمات؛ ليناسب المعنى المراد.

والله نسأل أن يعمّ النفع، ويغفر الزلل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوتت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى. فمن كان عبداً لله في الحالتين، قائماً بحقه في المكروه والمحبوب، فذلك الذي يتناوله قوله تعالى: {الْيَسَّ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} (الزمر: 36). فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصة، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه. وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان، قال الله تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} . (الحجر: 42)

(ص 36 - 37)



يقول الله عز وجل:

{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (20) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ} (سبا: 20-21)

فلم يجعل لعدوه سلطاناً على عباده المؤمنين، فإنهم في حِرْزه وكلاءته وحفظه و تحت كنفه، وإن اغتال عدوُّه أحدهم كما يغتال اللص الرجل الغافل، فهذا لا بد منه؛ لأن العبد قد بُلي بالغفلة والشهوة والغضب، ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة، ولو احترز العبد ما احترز، فلا بد له من غفلة، ولا بد له من شهوة، ولا بد له من غضب. وقد كان آدم أبو البشر عليه السلام من أحلم الخلق، وأرجحهم عقلاً، وأثبتهم، ومع هذا فلم يزل به عدوُّ الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه.

(ص 37)



ولكن عدوّ الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة على غرة وغفلة، فيوقعه، ويظن أنّه لا يستقبل ربه- عز وجل- بعدها، وأن تلك الواقعة قد اجتاحتها وأهلكته، وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته من وراء ذلك كله. فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح له من أبواب التوبة، والندم، والانكسار، والذل، والافتقار، والاستعانة به، وصدق اللجأ إليه، ودوام التضرّع، والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته، حتى يقول عدوّ الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه. وهذا معنى قول بعض السلف: إنّ العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار.

(ص 37 - 38)



فإنّ العارفين كلّهم مجمعون على أنّ التوفيق: أن لا يكلّك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان: أن يكلّك الله تعالى إلى نفسك، فمن أراد الله به خيراً ففتح له باب الذلّ والانكسار، ودوام اللجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وظلمها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه، ورحمته، وجوده، وبرّه وغناه، وحمده.

(ص 39)



وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى باب الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالاً، ولا مقاماً، ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة منه يمتنّ بها؛ بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصّرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه، فانصدع وشملت الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه عزّ وجلّ، وكمال فاقته وفقره إليه، وأنّ في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقةً تامّةً، وضرورةً كاملةً إلى ربه تبارك وتعالى، وأنّه إن تخلّى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تُجبر، إلّا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته.

(ص 40)



والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حب كامل. وذل تام. ومنشأ هذين الأصلين عن أصلين وهما مشاهدة المنّة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذلّ التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوّه به إلا على غرّة وغفلة، وما أسرع ما يُنْعَشُهُ اللهُ عزّ وجلّ ويجبره ويتداركه برحمته.

(ص 40 - 41)



فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدّم عنده على جميع المحابّ، فإذا تعارض حبّ الله تعالى وحب غيره، سبق حب الله تعالى حب ما سواه، فرتبّ على ذلك مقتضاه، وما أسهل هذا بالدعوى، وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

الأمر الثاني: الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الأمر النّاهي، فإنّ الله تعالى ذمّ من لا يعظّمه، ولا يعظّم أمره ونهيه، قال الله سبحانه وتعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} (نوح: 13) والمعنى أنّ أول مراتب تعظيم الحق عز وجل: تعظيم أمره ونهيه.

(ص 42 - 43)

8



وقد قضى الله سبحانه وتعالى قضاءً لا يردّ ولا يدفع، أنّ من أحبّ شيئاً
سواه عُدّب به ولا بدّ، وأن من خاف غيره سلّط عليه، وأن من اشتغل
بشيء غيره كان شؤماً عليه، ومن أثر غيره عليه لم يبارك له فيه، ومن
أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد.

(ص 43)

9



فعلامه التعظيم للأوامر: رعايته أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها
وواجباتها وكمالها، والحرص على تحسينها وفعلها في أوقاتها، والمسارة
إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حقّ من حقوقها.

(ص 44)



فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان، والإخلاص، والمحبة وتوابعها، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر الذنوب تكفيراً كاملاً، والناقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة، وهما: تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه.

(ص 45)

11



ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تُحصَر، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يُفسدُهُ ويُحبطُهُ.

(ص 46)

12



فإذا عزمت التوبة، وصحت، ونشأت من صميم القلب، أحرقت ما مرّت عليه من السيئات، حتى كأنّها لم تكن، فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وقد سأل حكيم بن حزام-رضي الله عنه- النبي ﷺ عن عتاقة وصلة وبرّ فعله في الشرك: هل يثاب عليه؟ فقال النبي ﷺ له: ((أسلمت على ما أسلفت من خير)). (مسلم: 1225) فهذا يقتضي أنّ الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك فلمّا تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة.

(ص 49)



وأما علاماتُ تعظيم المناهي: فالحرص على التّباعّد من مظانّها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كلّ وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنةُ خشيةً الافتتان بها، وأن يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروهات، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسّنها ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي ما ركب منها، فإنّ مخالطة مثل هذا داعيةٌ إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلّا مَنْ سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرمانه.

(ص 51)

14



ومن علامات تعظيم أمر الله ونهيه: أن لا يسترسلَ مع الرخصةِ إلى حد يكونُ صاحبه جافياً غيرَ مستقيم على المنهج الوسط. مثال ذلك: أن السُّنَّة وردت بالإبراد بالظهر في شِدَّة الحرِّ، فالترخص الجافي: أن يبرد إلى فوات الوقت، أو مُقَارَبَةِ خروجه، فيكون مترخصاً جافياً.

(ص 51 - 52)

15



فمن فقه الرجل في عبادته أن يُقْبَلَ على شُغْلِهِ فيعمله، ثم يُفْرَغَ قَلْبُهُ للصلاة، فيقوم فيها وقد فَرَّغَ قَلْبَهُ لله تعالى، وَنَصَبَ وَجْهَهُ له، وأقبل بكَلِّيَّتِهِ عليه، فركعتان من هذه الصلاة يُعْفَرُ للمصلي بهما ما تقدّم من ذنبه.

(ص 52)

16



فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لا يُعَارَضَا بترخص جافٍ، ولا يُعَرَّضَا لتشديد غالٍ، فإنَّ المقصودَ هو الصراط المستقيم الموصِلُ إلى الله عزَّ وجلَّ لسالكه.

(ص 54)

17



وما أمر الله عزَّ وجلَّ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمَّا تقصيرٌ وتفريطٌ، وإمَّا إفراطٌ وغُلُوٌّ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه، فإن وجد فيه تقصيراً أو فتوراً أو توانياً وترخيصاً أخذ من هذه الخُطَّةِ، فتبَّطَّه وأقعده، وإن وَجَدَ عنده حَذَراً وجِداً وتشميراً ونهضةً، وأيسر أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالإجتهاد الزائد، وسؤل له أن هذا لا يكفيك، ومقصودُهُ من الرجلين إخراجُهما عن الصراط المستقيم: هذا بأن لا يقربَهُ ولا يدنو منه؛ وهذا بأن يجاوزَهُ ويتعداه.

وقد فُتِنَ بهذا أكثرُ الخلق، ولا يُنْجِي من ذلك إلا عِلْمٌ راسخٌ، وإيمانٌ وقوةٌ على محاربتِه ولزومُ الوسط .

(ص 54)



ومن علاماتِ تعظيم الأمر والنهي: أن لا يحملَ الأمر على عِلَّةٍ تُضْعِفُ الانقياد والتسليم لأمر الله عزَّ وجلَّ؛ بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه، ممثلاً ما أُمِرَ به، سواء ظهرت له حكمةُ الشرع في أمره ونهيهِ أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمةُ الشرع في أمره ونهيهِ، حمله ذلك على مزيد الانقياد بالبذل والتسليم لأمر الله، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه جملة.

(ص 55)



فَإِنْ ضَعُفَتِ النَّفْسُ عَنْ مِلَاحِظَةِ قَصْرِ الْوَقْتِ وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهِ، فَلْيَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ}.

(الأحقاف: 35)

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}.

(النازعات: 46)

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ} (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ (113) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ (114). (المؤمنون: 112-114)

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} (102) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ

أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104). (طه: 102-104)

(ص 57)



فليتأمل العاقل الناصح لنفسه، وليعلم أيّ شيء حصل له من هذا الوقت الذي قد بقي من الدنيا بأسرها، ليعلم أنه في غرور وأضغاث أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوي شيئاً، ولو طلب الله تعالى والدّار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئاً موفوراً وأكمل منه.

(ص 57)



وَالظُّلْمُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ دَوَاوِينُ ثَلَاثَةٌ:

دِيَوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئاً، وَهُوَ الشِّرْكَ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.
وَدِيَوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ شَيْئاً، وَهُوَ ظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَإِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَوْفِيهِ كُلَّهُ.

وَدِيَوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئاً، وَهُوَ ظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
فَإِنَّ هَذَا الدِّيَوَانَ أَخَفُّ الدَّوَاوِينِ وَأَسْرَعُهَا مَحَوًّا، فَإِنَّهُ يُمَحَى بِالتَّوْبَةِ
وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ، وَالْمَصَائِبِ الْمَكْفَرَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، بِخِلَافِ
دِيَوَانِ الشِّرْكِ، فَإِنَّهُ لَا يُمَحَى إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، وَدِيَوَانِ الْمَظَالِمِ لَا يُمَحَى إِلَّا
بِالْخُرُوجِ مِنْهَا إِلَى أَرْبَابِهَا وَاسْتِحْلَالِهِمْ مِنْهَا.

(ص 63)



ولما كانَ الناسَ على ثلاث طبقات: طَيِّبٌ لا يَشِينُهُ خُبثٌ، وخَبِيثٌ لا طَيِّبَ فيه، وآخرون فيهم خُبثٌ وطَيِّبٌ، كانت دورهم ثلاثة: دار الطَّيِّبِ المَحْضِ ودارُ الخَبِيثِ المَحْضِ، وهاتان الداران لا تفنَّيان، ودار لمن معه خُبثٌ وطَيِّبٌ، وهي الدار التي تفنَّى، وهي دار العصاة، فَإِنَّهُ لا يَبْقَى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فَإِنَّهُمْ إِذَا عُدِّبُوا بِقَدَرِ جَزَائِهِمْ أُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، فَأُدْخِلُوا الْجَنَّةَ، ولا يَبْقَى إِلَّا دار الطَّيِّبِ المَحْضِ، ودار الخَبِيثِ المَحْضِ.

(ص 64)



والعبد إذا قام في الصلاة غَارَ الشَّيْطَانُ منه، فَإِنَّهُ قد قام في أعظم مقام، وأَقْرَبِهِ وأَغْيِظِهِ للشَّيْطَانِ، وَأَشَدَّهُ عليه، فهو يَحْرِصُ وَيَجْتَهِدُ كُلَّ الاجْتِهَادِ أَنْ لا يَقيمَه فيه، بل لا يَزَالُ به يَعِدُّهُ وَيَمْنِيهِ وَيُنْسِيهِ، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يُهَوِّنَ عليه شَأْنَ الصَّلَاةِ، فيتهاون بها فيتركها. فَإِنْ عَجَزَ عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أَقْبَلَ عَدُوَّ الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، وَيَحُولَ بينه وبين قلبه، فَيَذْكُرُهُ في الصَّلَاةِ ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نَسِيَ الشَّيْءَ والحاجة وأيسرَ منها فَيَذْكُرُهُ إياها في الصلاة لِيُشْغَلَ قَلْبُهُ بها، ويأخذه عن الله عَزَّ وَجَلَّ، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه الله عَزَّ وَجَلَّ وجل الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مِثْلَ ما دخل فيها بخطاياها وذنوبه، وأنقَالَه لم تُخَفَّفَ عنا بالصلاة، فَإِنَّ الصَّلَاةَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ سَيِّئَاتٍ مَنْ أَدَّى حَقَّهَا، وأكمل خُشُوعَهَا، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقَالِهِ.



والنَّاسُ في الصلاة على مراتبَ خمسة: **أحدها:** مرتبةُ الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها. **الثاني:** مَنْ يحافظُ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيَّع مجاهدةَ نفسه في الوسواس، فذهب مع الوسواس والأفكار. **الثالث:** مَنْ حافظَ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسواس والأفكار، فهو مشغولٌ بمجاهدةِ عدُوِّهِ لئلاَّ يسرقَ منه صلاتُهُ، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: مَنْ إذا قامَ إلى الصَّلَاةِ أكَمَلَ حقوقَها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاةَ حدودها وحقوقها لئلاَّ يضيَّعَ شيئاً منها، بل همُّهُ كُلُّه مصروفٌ إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأنَ الصلاة وعبودية رَبِّهِ تبارك وتعالى فيها.

الخامس: مَنْ إذا قامَ إلى الصلاةِ قامَ إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبُهُ ووضَعَهُ بين يدي رَبِّهِ عزَّ وجلَّ، ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له،

ممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويُشاهدُه، وقد اضْمَحَلَّتْ تلك الوسائسُ والخطراتُ، وارتفعت حُبُّها بينه وبين ربِّه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضلُّ وأعظمُّ مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عزَّ وجلَّ قريرُ العين به.

فالقِسْمُ الأولُ معاقِبٌ، والثاني مُحاسِبٌ، والثالثُ مُكَفِّرٌ عنه، والرابعُ مُثابٌّ والخامِسُ مُقَرَّبٌ من ربه، لأن له نصيباً ممن جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ في الصَّلَاة.

(ص 71)

25



فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِصَلَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي
الْآخِرَةِ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ-أَيْضاً- بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ
عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ.

(ص 71)

26



وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عَزَّ وَجَلَّ
إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة، وأسرته الهوى، ووجدَ
الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه، كيف يخلص من الوسوس والأفكار؟!.

(ص 73)



القلوب ثلاثة: قلبٌ خالٍ من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلبٌ مظلمٌ قد استراح الشيطان من إلقاء الوسوس إليه؛ لأنه قد اتخذهُ بيتاً ووطناً، وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن.

القلب الثاني: قلبٌ قد استنار بنور الإيمان، وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع، فالحربُ دولٌ وسجال. وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبه عدوّه له أكثر، ومنهم من هو تارةً وتارةً.

القلب الثالث: قلبٌ محشوّ بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حُجُبُ الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في قلبه إشراقٌ، ولذلك الإشراق إيقادٌ لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء حُرست بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رُجِمَ فاحترق، وليست السماء بأعظم حرمةً من المؤمن، وحراسة الله تعالى له أتمُّ من حراسة السماء.



الصائم هو الذي صامَتْ جوارحُه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعاً صالحاً، وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها الجالس مع حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها الزور والكذب والفجور والظلم.

هذا هو الصوم المشروع، لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب.

(ص 77)

29



إن للصدقة تأثيراً عجبياً في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمرٌ معلومٌ عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كُلُّهم مُقَرُّونَ به؛ لأنهم قد جربوه.

(ص 86)

30



إن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى، فإن ذنوبه وخطاياها تقتضي هلاكه، فتجيء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لَمَّا خَطَبَ النساءَ يوم العيد:

((يا معشر النساءِ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ))

(البخاري: 1466)

وكانه حَثَّهُنَّ وَرَغَّبَهُنَّ عَلَى مَا يَفِدْنَ بِهِ أَنْفُسَهُنَّ مِنَ النَّارِ.

(ص 88)

31



ولمّا كان البخيل محبوساً عن الإحسان، ممنوعاً عن البرّ والخير، كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهمّ والغمّ والحزن، لا يكاد تقضى له حاجة، ولا يعان على مطلوب.

(ص 92)

32



الفرق بين الشُّحِّ والبخل، أنَّ الشُّحَّ: هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، والبخل: مَنْعُ إنفاقه بعدَ حصوله وحبّه وإمساكه، فهو شحيحٌ قبلَ حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرَةُ الشُّحِّ، والشُّحُّ يدعو إلى البخل، والشحّ كامنٌ في النفس، فَمَنْ بَخَلَ فقد أطاع شحّه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شرّه، وذلك هو المفلح: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

(الحشر: 9)

(ص 93)



السَّخَاءُ نوعان: فأشرفُهما: سخاؤُك عما بيد غيرك.

والثاني: سخاؤُك ببذل مافي يدك.

فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يُعطيهم شيئاً؛ لأنَّه سخا عما في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم: السَّخَاءُ أَنْ تَكُونَ بِمَالِكَ مَتَبَرِّعاً وعن مال غيرك متورِّعاً. وهذه صفةٌ من صفات الربِّ جلَّ جلاله، فإنَّه يُعطي ولا يأخذ، يُطعم ولا يُطعم، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأحب الخلق من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنَّه كريم يُحبُّ الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال.

(ص 94 - 95)

34



فَاللَّهُ تَعَالَى لِعَبْدِهِ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ لَخَلْقِهِ. وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:
 «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ
 سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (مسلم: 2700). فَمَا تَدِينُ ثَدَانِ:
 وَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَكَ كَمَا تَكُونُ أَنْتَ لَهُ وَلِعِبَادِهِ.

(ص 98 - 103)

35



قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} (الأحزاب: 41).
 فَقَيَّدَ الْأَمْرَ بِالذِّكْرِ بِالْكَثَرَةِ وَالشَّدَّةِ لَشِدَّةِ حَاجَةِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ
 طَرَفَةَ عَيْنٍ، فَأَيُّ لَحْظَةٍ خَلَا فِيهَا الْعَبْدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَتْ عَلَيْهِ،
 لَا لَهُ، وَكَانَ خُسْرَانُهُ فِيهَا أَعْظَمَ مِمَّا رِيحَ فِي غَفْلَتِهِ عَنِ اللَّهِ.

(ص 113)



ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك الذكر صدئ، فإذا ذكر جلاه. وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر. فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته، كأن الصدأ متراكباً على قلبه، وصدؤه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب، لم تنطبع فيه صور المعلومات على ماهي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل؛ لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم، فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه.

فإذا تراكم عليه الصدأ واسودَّ، وركبه الرآن، فسَدَ تصوُّرُهُ وإدراكُهُ، فلا يقبل حقاً، ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب. وأصل ذلك من الغفلة، وإتباع الهوى، فإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ نَوْرَ الْقَلْبِ وَيُعْمِيَانِ بَصَرَهُ. قال الله تعالى: {وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}. (الكهف: 28)

(ص 116)

37



فمن عَوَّدَ لِسَانَهُ ذَكَرَ اللهُ صَانَ اللهُ لِسَانَهُ عَنِ الْبَاطِلِ وَاللَّغْوِ، وَمَنْ يَسَّرَ لِسَانَهُ عَنِ ذَكَرِ اللهِ تَعَالَى، تَرَطَّبَ بِكُلِّ بَاطِلٍ وَلَغْوٍ وَفَحْشٍ.

(ص 121)

38



ذِكْرُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُوْجِبُ الْأَمَانَ مِنْ نَسْيَانِهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ شَقَاءِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَإِنَّ نَسْيَانَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوْجِبُ نَسْيَانَ نَفْسِهِ وَمَصَالِحِهَا، قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (الحشر: 19). وَإِذَا نَسِيَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ أَعْرَضَ عَنْ مَصَالِحِهَا وَنَسِيَهَا وَاشْتَغَلَ عَنْهَا، فَهَلَكَتْ وَفَسَدَتْ وَلَا بُدَّ.

(ص 128 - 129)

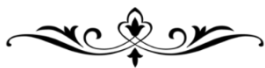
39



والإقبال على الله تعالى، والإنابة إليه، والرضى به وعنه، وامتلاء القلب من محبته، واللّهجُ بذكره، والفرح والسرور بمعرفته: ثوابٌ عاجلٌ، وجَنَّةٌ وعيشٌ لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتّة.

(ص 131)

40



فمحبّة الله تعالى، ومعرفتُهُ، ودوامُ ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراذه بالحبِّ، والخوفِ، والرجاءِ، والتوكّل، والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جَنَّةُ الدنيا، والنعيم الذي لا يُشبّههُ نعيمٌ، وهو قُرَّةُ عينِ المحيِّين، وحياةُ العارفين.

(ص 133)



واعلم أنَّ الحسرةَ كلّ الحسرةِ الاشتغالُ بمنْ لا يجزُّ عليك الاشتغالُ به إلا
فَوْتُ نصيبِكَ من الله عزَّ وجلَّ، وانقطاعك عنه، وضياعُ وقتِكَ عليك،
وشتاتُ قلبِكَ، وضعفُ عزمَتِكَ، وتفرُّقُ همِّكَ.

(ص 133)



وَالذِّكْرُ نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى قال الله تعالى: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} (الأنعام: 122).

فالأول: هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحَبَّتِهِ ومَعْرِفَتِهِ وذكره.

والآخر: هو الغافل عن الله تعالى، المُعْرِضُ عن ذكره ومحَبَّتِهِ.

والشأن كُلُّ الشأن، والفلاح كُلُّ الفلاح في النور، والشَّقَاءُ كُلُّ الشَّقَاءِ في فواته.

(ص 134 – 135)



وهكذا المؤمنُ قلبُهُ مضيءٌ يكادُ يعرفُ الحقَّ بفطرتهِ وعقلِهِ، ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادةُ الوحي، فباشرت قلبَهُ، وخالطت بشاشتهُ، فازداد نوراً بالوحي على نوره الذي فَطَرَهُ اللهُ تعالى عليه، فاجتمع له نورُ الوحي إلى نورِ الفِطْرَةِ، فصار نوراً على نور، فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثراً، ثم يسمع الأثرَ مطابقاً لما شَهِدَتْ به فِطْرَتُهُ، فيكون نوراً على نور، فهذا شأنُ المؤمن يُدركُ الحقَّ بفطرته مُجَمَّلاً، ثم يسمع الأثر جاء به مفصَّلاً، فينشأ إيمانهُ عن شهادة الوحي والفطرة.

(ص 141)



وَشَبَّهَ تَعَالَى حَالَ الْمُنَافِقِينَ فِي خُرُوجِهِمْ مِنَ النُّورِ بَعْدَ أَنْ أَضَاءَ لَهُمْ بِحَالِ مُسْتَوْفَدِ النَّارِ وَذَهَابِ نُورِهَا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ بِمَخَالَطَتِهِمُ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَاتِهِمْ مَعَهُمْ، وَصِيَامَهُمْ مَعَهُمْ، وَسَمَاعِهِمُ الْقُرْآنَ، وَمَشَاهِدَتِهِمْ أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ وَمَنَارَهُ، قَدْ شَاهَدُوا الضُّوْءَ، وَرَأَوْا النُّورَ عَيْنَانًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ: **{فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}** (البقرة: 18)؛ لِأَنَّهُمْ فَارَقُوا الْإِسْلَامَ بَعْدَ أَنْ تَلَبَّسُوا بِهِ وَاسْتَنَارُوا، فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ. وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْكُفَّارِ: **{فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}** (البقرة: 171)؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْقِلُوا الْإِسْلَامَ، وَلَا دَخَلُوا فِيهِ، وَلَا اسْتَنَارُوا بِهِ، بَلْ لَا يَزَالُونَ فِي ظِلْمَاتِ الْكُفْرِ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمَى، فَسَبْحَانِ مَنْ جَعَلَ كَلَامَهُ لَأَدْوَاءِ الصُّدُورِ شَافِيًا، وَإِلَى الْإِيمَانِ وَحَقَائِقِهِ مَنَادِيًا، وَإِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ دَاعِيًا، وَإِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ هَادِيًا.

(ص 143)



لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذاناً واعية، وشفت مَواعِظُ القرآن لو وافقت قلوباً من غيِّها خالية، ولكن عَصَفَتْ على القلوبِ أهويةُ الشُّبهات والشَّهوات، فأطفأت مصابيحها، وتمكّنت منها أيدي الغفلة والجهالة، فأغلقت أبواب رشدّها، وأضاعت مفاتيحها، ورانَ عليها كسبُها، فلم ينفع فيها الكلام، وسكّرت بشهوات الغيِّ وشبهات الباطل، فلم تُصغِ بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنةِ والسِّهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأسر الهوى والشهوة، و"مَا لِحَرْحِ بِمَيِّتٍ إِيلَامٌ".

(ص 144 - 143)



وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكُفَّار والمنافقين، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آياتٍ، وفي أوصاف الكفار آيتين، وفي أوصاف المنافقين بضع عشرة آية، لعموم الابتلاء بهم، وشدة المصيبة بمخالطتهم، فإنَّهم من الجملة مُظهِرُونَ الموافقة والمنصرة، بخلاف الكافر الذي قد نابذ بالعداوة، وأظهر السريرة، ودعاك بما أظهره إلى منابذته ومفارقته.

(ص 147)



قال تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا} (الرعد: 17) فهذا هو المثل المائي، شَبَّه سبحانه الوحي الذي أنزلهُ بحياة القلوب، بالماء الذي أنزلهُ من السماء، وشَبَّه القلوبَ الحاملةَ له، بالأوديةِ الحاملةِ للسيل. فقلبٌ كبيرٌ يَسَعُ علماً عظيماً، كوادٍ كبيرٍ يَسَعُ ماءً كثيراً، وقلبٌ صغيرٍ كوادٍ صغيرٍ يسعُ علماً قليلاً، فَحَمَلَتِ القلوبُ من هذا العلمِ بقدرِها، كما سَالَتِ الأوديةُ بقدرِها.

(ص 148)



فإنّ النفوسَ ثلاثة: كلبيةٌ وسبعيةٌ وملكيةٌ.
فالكلبيةُ: تَقْنَعُ بالعظم، والكسرة، والجيفة، والعذرة.
والسَّبعيةُ: لا تَقْنَعُ بذلك، بل بقهر النفوس، والاستعلاءِ عليها بالحق
والباطل.
وأما المَلَكِيَّةُ: فقد ارتفعت عن ذلك، وشمّرت إلى الرفيق الأعلى، فَهَمَّتْهَا
العلمُ والإيمانُ، ومحبةُ الله تعالى، والإنابةُ إليه، والطمأنينةُ به، والسكونُ
إليه، وإيثَارُ محبّتهِ ومرضاتِهِ، وإنّما تأخذُ من الدنيا ما تأخذُ لتستعينَ به
على الوصولِ إلى فاطرها وربّها ووليّها، لا لتتقطعَ به عنه.

(ص 154)

49



ونور العبد هو الذي يُصعدُ عمله وكلمه إلى الله تعالى، فإنَّ الله تعالى لا يصعدُ إليه من الكلم إلا الطيب، وهو نورٌ ومصدره عن النور، ولا من العمل إلا الصالح، ولا من الأرواح إلا الطيبة، وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله على رسوله ﷺ.

(ص 156)

50



والذكر ينور القلب والوجه والأعضاء، وهو نورُ العبد في دنياه، وفي البرزخ، وفي يوم القيامة.

(ص 162)

51



والذكرُ رأسُ الأمور، فمن فُتِحَ له فيه فقد فُتِحَ له بابُ الدخول على الله عزَّ وجلَّ، فليتطهر وليدخل على ربه عزَّ وجلَّ يجد عنده كلَّ ما يريد، فإنَّ وَجَدَ رَبَّهُ عزَّ وجلَّ وَجَدَ كلَّ شيءٍ، وإنَّ فَاتَهُ رَبَّهُ عزَّ وجلَّ فَاتَهُ كلُّ شيءٍ.

(ص 163)

52



إنَّ في القلب خَلَّةً وفاقةً لا يسدُّها شيءٌ ألَبَتَهُ إِلَّا ذَكَرُ اللهِ عزَّ وجلَّ، فإذا صار الذكرُ شِعَارَ القلبِ، بحيث يكون هو الذاكرُ بطريق الأصالَةِ، واللسانُ تَبَعٌ له، فهذا هو الذكرُ الذي يَسُدُّ الخَلَّةَ، وينفي الفاقَةَ، فيكون صاحِبُهُ غنياً بلا مالٍ، عزيزاً بلا عشيرةٍ، مَهيباً بلا سلطانٍ، فإذا كان غافلاً عن ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فهو بضد ذلك، فقير مع كثرةِ جِدَّتِهِ، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرةِ عشيرته.

(ص 163)

53



والذكرُ يُنبِهُ القلبَ من نومِهِ، ويوقِظُهُ من سِنَّتِهِ، والقلبُ إذا كان نائماً فاتَتْهُ الأرباحُ والمتاجرُ، وكان الغالبُ عليه الخسرانُ، فإذا استيقظ وعَلِمَ ما فاتَهُ في نومَتِهِ شَدَّ المنزَرَ، وأحيا بَقِيَّةَ عمرِهِ، واستدرك ما فاتَهُ، ولا تحصل يقظَتُهُ إلا بالذكرِ، فإنَّ الغفلةَ نومٌ ثَقِيلٌ.

(ص 164)

54



والذكرُ يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقابِ، ونفقةَ الأموالِ، والحملَ على الخيلِ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ، وَيَعْدِلُ الضربَ بالسيفِ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّ مَنْ قَالَ في يومٍ مائةَ مرَّةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ. . .» الحديث. (البخاري (3293))

(ص 167)

55



قال النبي صلى الله عليه وسلم لمُعَاذٍ: «يا معاذ، والله إنِّي لأُحِبُّكَ، والله إنِّي لأُحِبُّكَ، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعَنَّ في دبر كلِّ صلاة تقول: اللَّهُمَّ أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك». (أبو داود (1522)) فجمع بين الذِّكْرِ والشُّكْرِ، كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} (البقرة: 152). فالذكر والشكر جِماع السعادة والفلاح.

(ص 171)

56



في القلبِ قسوة لا يُذيبُها إلَّا ذكرُ الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى. وهذا لأنَّ القلبَ كلَّما اشتدت به الغفلة، اشتدت به القسوة، فإذا ذَكَرَ الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يَذُوبُ الرصاصُ في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عزَّ وجلَّ.

(ص 176)



والذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها
فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل
عنه حتى يبغضه فيعاديه.

(ص 176)



وما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى، فالذكر
جلب للنعم، دافع للنقم، قال سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ
آمَنُوا} (الحج- 38).. وفي القراءة الأخرى: {إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ} فدفعه ودفاعه عنهم
بحسب قوة إيمانهم وكمالهم، ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان
أكمل إيماناً، وأكثر ذكراً، كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص
نقص، ذكراً بذكر ونسياناً بنسيان، وقال سبحانه وتعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} (إبراهيم : 7).

(ص 177)

59



الذكر يُوجبُ صلاةَ اللهِ عزَّ وجلَّ وملائكتِهِ على الذاكر، وَمَنْ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وملائكتُهُ، فَقَدْ أَفْلَحَ كُلُّ الْفلاح، وفاز كُلُّ الْفوزِ، قال اللهُ سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)} (الأحزاب: 41 - 43).

(ص 177)

60



فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكلُّ مضافٍ إلى شكله وأشباهه، وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه.

(ص 180)

61



وجميع الأعمال إنما شرعت إقامةً لذكر الله تعالى، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى. قال سبحانه وتعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} (طه: 14).

(ص 181)

62



وَذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ، وَيُسَيِّرُ الْعَسِيرَ، وَيُخَفِّفُ الْمَشَاقَّ، فَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى صَعْبٍ إِلَّا هَانَ، وَلَا عَلَى عَسِيرٍ إِلَّا تَيْسَّرَ، وَلَا مَشَقَّةٌ إِلَّا خَفَّتْ، وَلَا شِدَّةٌ إِلَّا زَالَتْ، وَلَا كُرْبَةٌ إِلَّا انْفَرَجَتْ، فَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْفَرَجُ بَعْدَ الشَّدَّةِ، وَالْيَسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ، وَالْفَرَجُ بَعْدَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ.

(ص 186)



والذكرُ يُعْطِي الدَّائِرَ قوَّةً، حتَّى إِنَّهُ لِيَفْعَلْ مع الذكر ما لا يُطِيقُ فَعْلُهُ بدونه، وقد عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- أَنْ يُسَبِّحَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَخَذَا مُضَاجِعَهُمَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، لَمَّا سَأَلَتْهُ الْخَادِمُ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا تَقَاسِيهِ مِنَ الطَّحْنِ وَالسَّعْيِ وَالخِدْمَةِ، فَعَلَّمَهَا ذَلِكَ وَقَالَ: «فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَْا مِنْ خَادِمٍ» (البخاري (3705)).

(ص 187)

64



والذكرُ سبب لتصديق الربِّ عزَّ وجلَّ عبده، فإنَّه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربُّه، ومن صدَّقه الله تعالى، لم يُحشَرَ مع الكاذبين، ورُجي له أن يُحشَرَ مع الصادقين.

(ص 190 - 191)

65



والذكرُ سدٌّ بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال، كان الذكر سدّاً في تلك الطريق، فإذا كان ذكراً دائماً كاملاً كان سدّاً مُحكماً لا مَنفَذَ فيه، وإلا فبحسبه.

(ص 193)

66



وكثره ذكر الله عز وجلّ أمانٌ من النفاق، فإنّ المنافقين قليلو الذكر لله عز وجلّ. قال الله عز وجلّ في المنافقين: {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} (النساء: 142).

(ص 195)

67



وللذكر من بين الأعمال لذة لا تُشبَّهها شيءٌ، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه، لكفى به، ولهذا سُمِّيت مجالس الذكر رياض الجنّة.

(ص 196)

68



وأفضل الذكر: ما تَوَاطَأَ عليه القلبُ واللسانُ.

وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأنَّ ذكر القلب يُثْمِرُ المعرفةَ، ويَهَيِّجُ المحبةَ، ويُنْثِرُ الحياءَ، وَيَبْعَثُ على المخافةِ، ويدعو إلى المراقبة، ويردع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكرُ اللسان وحده لا يُوجِبُ شيئاً من ذلك الإثمِ، وإنْ أثمرَ شيئاً منها، فثمرَةٌ ضعيفةٌ.

(ص 213)

69



والذكرُ أفضلُ من الدعاء؛ لأنَّ الذكرَ ثناءٌ على الله عزَّ وجلَّ بجميلِ أوصافِهِ وآلائِهِ وأسمائه، والدعاء سؤالُ العبدِ حاجتَهُ. ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحَمْدِ اللهِ تعالى، والثناءِ عليه، ويصليَّ على النبي ﷺ بين يدي حاجتِهِ، ثم يسألُ حاجتَهُ.

(ص 214)



فالدعاء الذي يتقدّمه الذكر والثناء، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن أُضيف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته، وافتقاره واعترافه، كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد تَوَسَّلَ إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعَرَّضَ بل صرَّح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل، والمقتضى من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغ وألطف موقعاً، وأتم معرفةً وعبوديةً. فإذا عَرَفْتَ هذا، فتأمل قول موسى ﷺ في دعائه:

{ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } (القصص: 24).

وقول ذي النون ﷺ في دعائه:

{ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } (الأنبياء: 87).

وقول أبينا آدم ﷺ:

{ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }

(الأعراف: 23).

وفي الصحيحين: أَنَّ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ!
 علمني دعاءً أدعُو به في صلاتي. فقال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً
 كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني،
 إنك أنت الغفور الرحيم**» (البخاري (6326)).

(ص 219 - 220)

71



قراءةُ القرآنِ أفضلُ من الذِّكْرِ، والذِّكْرُ أفضلُ من الدعاء، هذا من حيث
 النظرِ إلى كل منهما مجزئاً. وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من
 الفاضل، بل يُعيئُهُ، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح
 في الركوع والسجود، فإنه أفضلُ من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما
 منهي عنها نهْيَ تحريمٍ أو كراهة. وهكذا الأذكار المقيدة بحالٍ مخصوصةٍ
 أفضلُ من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة،
 اللَّهُمَّ إِلَّا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكرَ أو الدعاءَ أنفعَ له من قراءةِ
 القرآن.

مثاله: أن يتفكّر في ذنوبه، فيُحدّث ذلك له توبةً واستغفاراً، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجنّ، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه.

(ص 222 - 223)



ولما كانت الصلاةً مشتملةً على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتمّ الوجوه، كانت أفضلّ من كلّ من القراءة والذكر والدعاء بمفرده، لجمعها ذلك كلّهِ مع عبودية سائر الأعضاء.

(ص 224)

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ص1	المقدمة
ص2	الفائدة: 1
ص3	الفائدة: 2
ص4	الفائدة: 3
ص5	الفائدة: 4
ص6	الفائدة: 5
ص7	الفائدة: 6
ص8	الفائدة: 7
ص9	الفائدة: 8
ص9	الفائدة: 9
ص10	الفائدة: 10
ص11	الفائدة: 11
ص11	الفائدة: 12
ص12	الفائدة: 13
ص13	الفائدة: 14
ص13	الفائدة: 15
ص14	الفائدة: 16
ص14	الفائدة: 17
ص15	الفائدة: 18
ص16	الفائدة: 19
ص17	الفائدة: 20

ص18	الفائدة: 21
ص19	الفائدة: 22
ص20	الفائدة: 23
ص21-22	الفائدة: 24
ص23	الفائدة: 25
ص23	الفائدة: 26
ص24	الفائدة: 27
ص25	الفائدة: 28
ص26	الفائدة: 29
ص26	الفائدة: 30
ص27	الفائدة: 31
ص27	الفائدة: 32
ص28	الفائدة: 33
ص29	الفائدة: 34
ص29	الفائدة: 35
ص30	الفائدة: 36
ص31	الفائدة: 37
ص31	الفائدة: 38
ص32	الفائدة: 39
ص32	الفائدة: 40
ص33	الفائدة: 41

34ص	42 الفائدة:
35ص	43 الفائدة:
36ص	44 الفائدة:
37ص	45 الفائدة:
38ص	46 الفائدة:
39ص	47 الفائدة:
40ص	48 الفائدة:
41ص	49 الفائدة:
41ص	50 الفائدة:
42ص	51 الفائدة:
42ص	52 الفائدة:
43ص	53 الفائدة:
43ص	54 الفائدة:
44ص	55 الفائدة:
44ص	56 الفائدة:
45ص	57 الفائدة:
45ص	58 الفائدة:
46ص	59 الفائدة:
46ص	60 الفائدة:
47ص	61 الفائدة:
47ص	62 الفائدة:

ص48	الفائدة: 63
ص49	الفائدة: 64
ص49	الفائدة: 65
ص50	الفائدة: 66
ص50	الفائدة: 67
ص51	الفائدة: 68
ص51	الفائدة: 69
ص52	الفائدة: 70
ص53	الفائدة: 71
ص54	الفائدة: 72



سلسلة انتقاءات الكناص (2)

72 فائدة من كتاب الوابل
الصيّب من الكلم الطيّب

للإمام العالم الربّاني ابن قيّم
الجوزيّة رحمه الله.

نقدمها لمن يريد أن يبصر قدر أهميّة
ذكر الله تعالى، وفوائده الجمّة.

